نـافـذة

المفتي... صوت حق رمز لليوم والزمن القادم

استغربت أن عدداً من أصدقائي أرسل لي في الأسبوع الماضي تسجيلاً للاطلاع عليه، ووجدت في التسجيل القادم من الجميع نص محاضرة سماحة المفتي العام للجمهورية العربية السورية الدكتور أحمد بدر الدين حسون، وهذا النص موجود لدي، وقد أكون من أول من حصل على تسجيل منه بحكم علاقتي الوطيدة بسماحته والتي تمتد إلى عقود على خلاف ما بيننا من توجه ومكانة، وهذا ما زاد من قدره في روحي وعقلي..

ظننت أن التسجيل بسبب حصوله على جائزة في حقوق الإنسان، لكنني عرفت أن صاحب الاتجاه المعاكس وضع جزءاً من الكلمة ليسيء إلى سماحته فإذا بالتسجيل يعود إلى واجهة الأحاديث، ومن حق هذا الحديث أن يكون في الواجهة دوماً، بل أن يدرس وأن يكون منهجاً وآلية في التفكير والعقيدة والحديث إلى الآخر.

الذين أخذوا بما قدمه الاتجاه المعاكس يؤمنون بأن الإعلام لا ذاكرة له، ولكن عودة التسجيل تؤكد بأن الذاكرة كلها في الإعلام ولا يمكن أن يغيب شيء، ومن كان يشهر به صاحب الاتجاه المعاكس من حقه أن يفاخر، وهنا لا أتحدث عن القناة ومراميها، فذلك من فضلة القول، ولكنني أعيد إلى الذاكرة مثل ما أعاد هو سلسلة من المقالات المدحية بسورية وقيادتها، والدورات التدريبية التي أقامها في سورية لمصلحته قبل الأزمة إلى درجة صارت فيها سورية دار إقامته شبه الدائمة! ومن كان هكذا ليس من حقه أن يفعل ما فعل، إلا إذا كان مؤمناً بضياع ذاكرة الإعلام وهو واهم.

أعود إلى التسجيل الذي كان لحديث سماحة المفتي العام في البرلمان الأوروبي، والذي كان مثار اهتمام الجميع في الشرق والغرب، والذي كان أول حديث من عالم دين مسلم بهذا الوعي وهذا الشرح لنخبة السياسيين الأوروبيين، هذا الحديث الذي لا يزال مثار اهتمام في الغرب، وكان له أن يؤدي نتائج عديدة ومهمة لو وعينا أهميته، وهو الحديث الذي لم يخرج عن ثابت من الثوابت الدينية والقومية والسياسية، لكنه قدم فهماً سليماً متقدماً أشواطاً بعيدة عن الخطاب الذي كنا نعيشه عندما ألقاه سماحته.. هذا الحديث شكل البادرة الأولى على هذا المستوى المرموق والمسموع والقادر على التغيير، لكننا قضينا وقتنا نفند ما لا يستحق التفنيد، بل يستحق التطبيق والدراسة ويمكن أن يشكل منهجاً متقدماً.

ودخلت دوامة الربيع العربي، وفي سورية كان سماحة المفتي على رأس العلماء الذين وعوا الأزمة وحقيقتها، ونبه إلى أن هدم دور العبادة كلها أسهل عند الله من قتل روح إنسان، وبقي سماحته مرتبطاً بمجتمعه، وحده حمل ثوبه الأبيض وتوجه إلى الذين قاموا في وجه الدولة، وعقد معهم حواراً ومصالحة، سرعان ما تدخل الآخرون للنكث به، ولو قيض لهذه الزيارة التي قام بها إلى حوران أن تعطي أكلها لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه.

وحده سماحة المفتي زار المدن، وألقى المحاضرات، وعقد الندوات، وطرح المبادرات الوطنية، وكرم الشهداء وأسرهم، واسى أمهات الشهداء وأرامهم وأبناءهم، كان سماحة المفتي على تواصل يومي ولا يزال بالناس، يشارك في التعازي لا يمنعه مانع، يقدم ما يجب عليه كأب روحاني لكل سوري، وإن كان أحدهم يرى في زياراته المتبادلة مع الكنيسة ورجالها شيئاً من المجاملة. فلا يمكن لآل حمصي من الإخوة المسيحيين أن ينسوا دخول عمامته إلى مأتمهم ومواساته، وهو ليس على علاقة بهم، وبمجرد أن سمع همسة من أحدهم بمصابهم كان موجوداً في العزاء، وكان خير العزاء..

لم يبرح سورية، وقد صرح بأن أردوغان عرض عليه مغادرة دمشق، لكن قرر أن يكون أميراً في دمشق، ولأن دمشق المكان والتاريخ والإنسان عرفت قيمته جعلته أميراً حقيقياً..

نبذ التطرف والعنف
آثر الانتماء إلى الوطن
ردّ الأمور إلى أصولها
آمن بالاختلاف ورفض الخلاف

الحملات الكثيرة حاولت النيل من سماحته، بدءاً من بعض علماء الدين الذين اختاروا منهجاً مختلفاً، وفي الأزمة ظهرت الحقائق، وصولاً إلى الخصومة السياسية، وقد كان سماحته من اليوم الأول لتوليه موقع الإفتاء رجل فكر وحوار ومسايسة.

أيها السوريون تنبهوا

عندما تحدث سماحته في البرلمان الأوروبي هبت أقلام في مصر الحبيبة، ولم يكن الربيع قد أظهر أزهاره وأشواكه، ودعت مفتي الديار المصرية ومشيخة الأزهر ليكونوا عالمين كما هو أمر مفتي سورية.. ونحن بسبب خلافات عادية لا نقدّر هذا العلم وهذا الحوار وهذه السياسة.

رغم كل العوائق لم يتوقف سماحته عن المحاضرة والمشاركة، دفع من روحه ومن أسرته قربان سورية.

وافق على أن يكون نفسه قرباناً لسورية وبقائها وعظمتها.

لم يغادر رغم كل الظروف، وبقي وأسرته مع ناسه وأهله ووطنه.

ستمضي السنوات وبعد عقود سنقرأ اسم سماحته مع قائمة العلماء المتنورين، وربما كان أولهم لأنه لم يكن مؤدلجاً، ولم يسعَ إلى أذية أحد أو قتل أحد، وإن كان من اختلاف مع سماحته من أحدهم، فهذا أمر مشروع لذاك ولسماحته، فوسائل العيش مختلفة، وطرائق التعبير متعددة، وأعباء الحياة والمكانة تضع كل واحد في مكانة.

ولكن لا نأخذ في الحسبان قول من كان ينافس على مكان أو جاه.

ولا يعتد برأي خصم له مصلحة.

كل ما أطلبه هو النظر إلى ما يقوله ويفعله.

ألا يتساوق مع العقل والحكمة؟

ألم يسعَ للحفاظ على حياة الإنسان ليحظى بجائزة حقوق الإنسان؟

مصطفى عبد الرازق، محمود شلتوت، محمد عبده، أحمد بدر الدين حسون.

قائمة من العلماء الأجلاء الذين أرادوا للمؤسسة الدينية أن تكون قوية متحاورة سيحمل التاريخ أسماءهم، ولن يحفل بذاك المتصيّد..

الفكر رحلة حياة متكاملة، تحمل أهواء وأغراضاً ومنافع، لكن الوصول إلى الهدف الأسمى وهو الإنسان يجعل الرحلة سامية وتستحق أن يقتدى بها.

كذلك هي سيرة سماحة المفتي، فلنأخذ بكم الحب الذي زرعه في سورية وأرضها وإنسانها، ولنتعلم من الحوار مع الذات قبل الآخر، وعندما نجيد ذلك لنتوجه إلى الآخر الذي لا ينتظرنا بل نحن بحاجة لتقديم أنفسنا إليه.

بوركت رحلتك صديقي سماحة المفتي، وما عرفته من خصال العالم الرجل جعلني أطلق هذا النداء، فلنستفد منه، وليكن دعاؤنا أن يطيل الله أعمار الذين أحبوا الأرض وتمسكوا بها.

للإنسان حقوقه
ولك جائزة الإنسان والحرص عليه

إسماعيل مروة

قريباً مسابقة لاختيار أعضاء هيئة تدريسية لسد النقص الحاصل في بعض الاختصاصات

رئيس جامعة دمشق لـ«الوطن»: مسابقاتنا نزيهة والسكن الجامعي تضاعف ثلاث مرات ولدينا مشاريع طموحة

رجاء يونس

كان لجامعة دمشق النصيب الأكبر في تحمل الأعباء العلمية والتدريسية خلال السنوات الأربع الماضية نتيجة ظروف الأزمة، ورغم عدد طلابها الكبير الذي تجاوز ١٦٠ ألف طالب في التعليم النظامي استقبلت المئات من طلاب الجامعات الأخرى، ما أدى إلى تزايد هائل في عدد طلابها لتتحول إلى مركز امتحاني كبير على مستوى سورية في فترة الامتحانات الجامعية، ورغم ذلك امتلكت العديد من الأفكار والرؤى الخاصة بها لتطوير العملية التعليمية والبحث العلمي.

كيف تستعد لاستقبال عامها الدراسي الجديد الذي يبدأ اليوم ١٣ | ٩ | ٢٠١٥؟ ما جديدها وما أبرز التحديات التي تواجهها وما رؤيتها لتطوير خطط الدراسات العليا فيها وما المعايير المعتمدة في اختيار قياداتها العلمية والإدارية الجديدة؟

رئيس جامعة دمشق الدكتور محمد حسان الكردي في حوار لـ«الوطن» أكد أن اهتمام جامعة دمشق ينصب على تأمين جميع مستلزمات العملية التعليمية في الكليات والمعاهد من قاعات تدريسية ومخابر وكتب دراسية، مشيراً إلى أن أنه خلال العام الدراسي الحالي ٢٠١٥-٢٠١٦ سيتم استيعاب عدد كبير من الطلاب وسيكون لجامعة دمشق النصيب الأكبر من الطاقة الاستيعابية وخاصة لجهة استقبالها أعداداً كبيرة من الطلاب الوافدين من جامعتي حلب والفرات.

واعتبر الكردي أن تعيين قيادات علمية وإدارية جديدة في الجامعة مع بداية العام الدراسي الجديد سيسهم بضخ دماء جديدة في الجامعة والاستفادة من أفكارهم ورؤاهم لتطوير العملية التعليمية والبحثية، مؤكداً أن عملية اختيار هذه القيادات بنيت على أساس الكفاءة والنزاهة بعيداً عن أي اعتبارات أخرى.

وحول الشكوك في نزاهة مسابقتي القبول في كليتي الهندسة المعمارية والفنون الجميلة نفى الكردي إمكانية حدوث أي تلاعب في النتائج، موضحاً أن الأوراق الامتحانية للمسابقتين يتم نقلها إلى رئاسة الجامعة ويجري تحكيمها من قبل لجنة مؤلفة من عدد من الأساتذة المختصين ويتم فتح الأوراق أمام كاميرا الإعلام والصحافة المحلية، كما لفت إلى أن مراكز المفاضلة العامة والتسجيل المباشر للفرع الأدبي تشهد إقبالا كبيراً من قبل الطلاب حيث تجاوز عدد المتقدمين خلال الأسبوع الأول من التسجيل ٢٠ ألف طالب وطالبة.

السكن الجامعي.. هموم وشجون

وحول أزمة السكن الجامعي كشف عن وجود تحديات كبيرة تواجهها المدينة الجامعية بسبب التزايد الكبير في أعداد الطلاب خلال السنوات الأربع الماضية نتيجة ظروف الحرب ما أدى إلى تضاعف العدد نحو ثلاث مرات عما كانت عليه قبل الأزمة حيث وصل إلى ٢٧ ألف طالب وطالبة خلال العام الماضي، علماً أن القدرة الفعلية للاستيعاب تقدر بـ١٣ ألف طالب وطالبة فقط، مشيراً إلى أن الجامعة بادرت بالتعاون مع الاتحاد الوطني لطلبة سورية لوضع أسس وآليات جديدة للقبول بالسكن الجامعي وتجديد مرافق المدينة الجامعية وضبط حركة الدخول إليها بهدف تفادي المشكلات التي حدثت العامين الماضيين جراء الزيادة الكبيرة بعدد القاطنين فيها، حيث صدرت مؤخراً التعليمات الجديدة الخاصة بالسكن لطلاب جامعة دمشق والجامعات الأخرى والمعايير العامة والخاصة لتحديد أولويات للسكن.

وعن الآلية التي تتبعها الجامعة لسد النقص الحاصل في أعضاء الهيئة التدريسية فيها نتيجة تسرب البعض، أكد رئيس الجامعة أن هذا النقص موجود في بعض التخصصات وليس في كل الكليات، كاشفاً عن أن الجامعة بصدد إجراء مسابقة لاختيار أعضاء هيئة تعليمية تستقطب من خلالها الكفاءات العلمية الموجودة في الوزارات ومؤسسات الدولة للاستفادة من خبراتهم العلمية والتدريبية.

الارتقاء بأداء الدراسات العليا

وبالانتقال إلى الدراسات العليا وخطط التوسع بها وما أثير حولها من انتقاد ومن ثم التراجع عن بعض الشروط الخاصة بها، أكد الكردي أن التوسع في إحداث برامج الدراسات العليا الأكاديمية (الماجستير والدكتوراه) ليس أولوية لدى الجامعة في الوقت الحالي وإنما الهدف يتجه نحو رفع مستوى البرامج الموجودة وإعادة تقييمها من أجل الارتقاء بأدائها وأن تكون مواضيعها جديدة تلامس هموم وشجون المجتمع وتلبي متطلباته للاستفادة منها على أرض الواقع لكي لا توضع على الرفوف من أجل فانتازيا البحث العلمي فقط، معتبراً أن الأزمة تحتم على المؤسسات الأكاديمية والبحثية في الوقت الحاضر تسخير البحث العلمي نحو قضايا ملحة ذات أولوية في المجتمع ولهذا فإن جامعة دمشق تشجع باحثيها وتوجههم نحو الأبحاث الاجتماعية التي تدرس العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في المجتمع نتيجة الشوائب التي أصابت المجتمع، وكذلك التركيز على الأبحاث الاقتصادية وما يخص إجراء دراسات اقتصادية للوقوف على المشاكل التي تواجه الصناعة السورية والمعامل والشركات للمساهمة في إيجاد الحلول المناسبة لها ويسهم في دعم الصناعة السورية.

كما أوضح أن إحداث برامج جديدة على مستوى الدراسات العليا يتطلب توفير البنية التحتية ومستلزمات البحث العلمي وتأمين العدد المناسب من أعضاء الهيئة التدريسية، مشيراً إلى أن مجموع عدد الطلاب الحاصلين على الدراسات العليا في الجامعة خلال عام ٢٠١٥ بلغ /١٤٥/ طالبا في الماجستير الأكاديمي و/٤٦/ دكتوراه و/٣٣/ ماجستير تأهيل وتخصص مقابل /٤٢٥/ طالب ماجستير أكاديمي و/١١٠/ دكتوراه و/٤٦/ طالب تأهيل وتخصص عام ٢٠١٣ وأما في عام ٢٠١٤ فقد وصل عدد أطروحات الدكتوراه /١٢٣/ والماجستير/ ٣٨٠/ والتأهيل والتخصص /٤٩/ مرجعا أسباب انخفاض عدد طلاب الدراسات العليا إلى ظروف الأزمة وجانب الإشراف العلمي على طلاب الدراسات العليا بسبب النقص الحاصل في أعضاء الهيئة التدريسية في بعض الكليات والنقص في مستلزمات وأدوات البحث العلمي في الكليات العلمية نتيجة الحصار المفروض على سورية.

كما اعتبر أن الظروف الحالية فرضت نفسها على موضوع الدراسات العليا حيث انصب اهتمام الجامعة في السنوات الأخيرة على افتتاح المزيد من برامج وماجستيرات التأهيل والتخصص والتوسع في اختصاصاتها بحسب حاجة سوق العمل التي يتم التواصل معها باستمرار للاطلاع على متطلباتها، حيث تجاوز عدد هذه البرامج ٣٠ ماجستير تأهيل وتخصص توزعت على الكليات العلمية والنظرية، لافتاً إلى أن معظم هذه الماجستيرات أحدثت بناء على رغبة وحاجة عدد من الوزارات ومؤسسات القطاع العام والخاص من خلال إبرام اتفاقيات ومذكرات تفاهم مع الجهات الطالبة لرفدها بالكوادر المدربة أو لتدريب وتأهيل بعض كوادرها في بعض المسائل الملحة.

كما رأى أن تزايد أعداد الخريجين وخاصة في الكليات العلمية والطبية يجعل من الاستحالة قبول عدد كبير من الخريجين في الماجستيرات الأكاديمية ولكن هذا الأمر يمكن تعويضه بماجستيرات التأهيل والتخصص، ومثال ذلك ما حدث في كلية طب الأسنان حيث تجاوز عدد خريجيها العام الماضي ٤٠٠ طالب فكان توجه الجامعة نحو إحداث ماجستير في تجميل الأسنان والفكين، الأمر الذي فتح المجال لعدد لا بأس به من الخريجين للالتحاق بهذا الماجستير الهام لتلبية حاجة السوق من هذا الاختصاص نتيجة تزايد حالات التشوه في ظل ظروف الحرب كما أن الجامعة تحضر لإحداث ماجستيرات تأهيل وتخصص في مجال الصناعة الدوائية في كلية الصيدلة لدعم الصناعة الدوائية الوطنية.

توظيف إبداعات الطلاب

ولفت الكردي إلى أن الجامعة تعمل بشكل حثيث لوضع برامج أكاديمية جديدة تتصل بمستويات متقدمة من خلال اعتماد المعايير الوطنية والدولية لجودة التعليم ووضع خطط درسية متكاملة في الكليات بما يتناسب مع توجهات مجلس التعليم العالي ويتلاءم مع التطورات العالمية لتلبية احتياجات المجتمع المحلي والإقليمي والدولي مشيراً إلى أن الأنظار تتجه الآن نحو الخطة الدرسية للسنة التحضيرية للكليات الطبية التي اعتمدت هذا العام حيث ستقوم الجامعة بوضع جميع المحاضرات التعريفية الخاصة بها على موقعها الالكتروني.

وأضاف الكردي إن توفير بيئة جامعية خلاقة مبنية على الإبداع والتفاعل هاجس كبير لدى الجامعة ومن أجل بلوغ هذا الهدف قامت بتوجيه مشاريع التخرج والأبحاث العلمية في مختلف الكليات وخاصة كليات الهندسة والاقتصاد والتربية نحو قضايا تهم مرحلة إعادة الإعمار بما يسهم في توظيف إبداعاتهم نحو هذا الهدف الذي تعده الجامعة الهدف الأسمى لها في الوقت الحالي وصولا لتخريج وخلق أجيال واعية ومدركة للتحديات التي تواجه بلدهم.

وبالحديث عن الطلاب وماهية المساعدة التي تقدمها الجامعة لهم للحصول على فرص عمل بعد تخرجهم لفت الكردي إلى أن شعار الجامعة ربط النظري بالتطبيق العملي، وفي هذا الإطار قطعت الجامعة شوطا لا بأس به بما يتعلق بربط مخرجاتها بسوق العمل وذلك من خلال تضمين المناهج الدراسية جانبا من التدريب العملي إيماناً منها بأن تلقي الطلبة لجوانب تطبيقية قبل استكمال متطلبات التخرج يسهل عليهم الانخراط في سوق العمل ويسهم في اكتسابهم الخبرات الكافية للحصول على فرص عمل مناسبة، علما أن الجامعة لديها مراكز تهتم بالإرشاد الوظيفي مثل مركز التوجيه المهني وعيادات العمل اللذين يقيمان دورات وبرامج تدريبية مستمرة للطلاب والخريجين تتعلق بموضوعات مختلفة وفق حاجة سوق العمل والتواصل مع أرباب العمل في حال وجود شواغر لديهم لتوظيف حاجتهم من الطلبة.

وبما يتعلق بمصير الإيفاد أكد أن الإيفاد الداخلي تقوم الجامعة بتطويره وتأمين مستلزماته وأما الخارجي ونتيجة الحصار بات مقتصراً على بلدان مثل روسيا وإيران والصين والهند كما تم تأمين عدد من المنح من روسيا وإيران لتأهيل المعيدين بجامعة دمشق.

المعاهد التقانية وتقييم كفاءتها

وبما يخص الدعم المقدم للمعاهد التقانية أكد الكردي أن المعاهد التقانية تلقى كل الاهتمام من أعلى المستويات في الدولة حيث أقيمت مؤخراً ورشة عمل بجامعة دمشق برعاية رئيس مجلس الوزراء لتطوير واقع المعاهد بالجامعة البالغ عددها ١٢٤ معهداً تقانياً وتقييم كفاءاتها العلمية والإدارية، وتعمل الجامعة حالياً على إعادة صياغة المناهج والخطط الدرسية ومفردات المقررات في جميع المعاهد وفق المنهجية العلمية بهدف تعريف سوق العمل بمخرجاتها ودراسة انعكاسات واقع السوق على اختصاصات المعاهد واحتياجات سوق العمل بما يعزز ثقافة التعليم التقاني والمهني في المجتمع.

وحول واقع برامج التعليم المفتوح بالجامعة أشار الكردي إلى أن التعليم المفتوح بشكل عام يواجه تحديات كبيرة على مستوى الجامعات السورية وهو بحاجة إلى إعادة النظر في أهدافه واعتماد آليات وإجراءات جديدة لتطويره، لافتاً إلى أن التحضير جار في وزارة التعليم العالي لتنظيم ورشة عمل على مستوى الجامعات السورية لمناقشة واقع تجريه التعليم المفتوح على الشريحة المستهدفة وطريقة القبول والتركيز على تحديد نوعية المدخلات واعتماد طرائق علمية بما يتوافق مع مضمون الاختصاصات والبرامج.

وعن خطوات الجامعة لتحسين الخدمات المقدمة للعاملين فيها أوضح أن لدى الجامعة مشاريع طموحة لتسهيل الخدمات المقدمة لعامليها حيث تم الانتهاء من مشروع توسع في طبابة الجامعة من أجل إحداث مركز طبي متكامل يخدم العاملين في الجامعة بعيادات تشمل جميع الاختصاصات بالتعاون مع نقابة المعلمين كما جرى توسيع صيدلة النقابة بدعم مالي من الجامعة.

٧٦٥ حالة مخالفة امتحانية

وبما يخص العقوبات الامتحانية قال الكردي إن الجامعة تصدر في كل عام دليلاً إرشادياً وتوجيهياً للطلاب يتضمن التعليمات الامتحانية والعقوبات المستحقة في حال وقوع المخالفة يتم تعميمه على كل الكليات ووضعه في لوحة الإعلانات والقاعات الامتحانية، مشيراً إلى أن التشدد بالعقوبة ليس الغاية وإنما الهدف إشعار الطالب أن مخالفته تستلزم العقوبة الشديدة كاشفا عن تزايد في حالات الغش، وسجل الفصل الدراسي الثاني من العام الحالي نحو ٦٨٠ مخالفة في التعليم النظامي و٧٥ مخالفة في التعليم المفتوح.

ورداً على سؤال عن إمكانية إحداث رابطة لخريجي جامعة دمشق أسوة بباقي الجامعات أو مكتب يهتم بشؤون الخريجين لمتابعتهم والتواصل معهم بعد التخرج رأى الكردي أنه في ظل الأعداد الكبيرة لطلاب الجامعة يصعب إنشاء رابطة تضم خريجيها كافة وقد استعيض عنها بمجموعة من الروابط وفق التخصصات مثل رابطة الجراحين والحقوقيين والكيمائيين والصيادلة، مشيراً إلى أن اعتماد الخاتم الذكي أو اللصاقة الأمنية على مصدقات التخرج والتي ستمهر بها المصدقات الحديثة يتيح للجامعة مستقبلاً إنشاء قاعدة بيانات لطلابها وخريجيها من خلال أتمتة البيانات والمعلومات الخاصة بالطالب منذ تسجيله في الكلية أو المعهد والتغييرات التي تطرأ على وضعه خلال سنوات دراسته الجامعية.

وأكد الكردي أن الجامعة تعمل على تعزيز مكانتها في المجتمع من خلال إقامة العديد من الفعاليات والأنشطة والبرامج الاجتماعية التطوعية بالتعاون مع الاتحاد الوطني لطلبة سورية وبعض الفعاليات من المجتمع الأهلي حيث جرى تشكيل مجموعات وفرق من الطلاب بمختلف اختصاصات دراستهم واهتماماتهم بشكل تطوعي بهدف نشر الفكر التوعوي حول مختلف القضايا الحساسة وخاصة البيئة والصحة لتسهم هذه المشاركات في صقل شخصيتهم وإثراء الحياة الجامعية.

> توفير بيئة جامعية خلاقة مبنية على الإبداع والتفاعل هاجس كبير... وقطعت الجامعة شوطاً لابأس به بما يتعلق بربط مخرجاتها بسوق العمل

المرأة السورية في مواجهة الحياة بفيلم قصير

عامر فؤاد عامر

استقطبت أرضنا منذ آلاف السنين هجمات شرسة بنيت على رغبة الهدم والتدمير لثقافة أصيلة وإنسانية لا تتوافر إلا في ابن المنطقة الوسطى من بين بلاد العالم كلها، والفيلم القصير «وفاء» يناقش في مقولة مهمّة أهمية المرأة السوريّة في مواجهة صعوبات حياتها في الآونة الأخيرة، فبين إحساس الأنثى العفوي وفطرتها في الدفاع عن كينونتها وأمان ولديها وبين مداراة خاطر مجتمع داخلي قد لا يرحم المرأة في ضغوطات اعترضتها نتيجة ظروف قاسية أجبرت عليها، يضيء الفيلم مساحة مهمة من الصدق في لحظة جميلة تقارن فيها المرأة رغبة الجيل الجديد في مقاومة قهر الحياة والاعتراف بأننا أبناء الحياة فتعود لهذه المرأة قوتها وألقها بعيداً عن زيف المحاولات وكذب الطرق التي اعتمدتها في حرف أنظار المجتمع وما يؤلفه من فئات فتصل لاعتقاد ونتيجة أن الحياة أجمل على بساطتها وبالصدق يمكن الوصول بأسرع ما يمكن للهدف.

النص من تأليف الفنانة «علا باشا» والمخرج «محمد الخضر»، وتقول الفنانة «علا باشا» فتضيف حول هذه التجربة: «ليست هذه التجربة الأولى لي في مجال الكتابة والتأليف لكنها الأولى من حيث السعي لتجسيدها في عمل سينمائي، فلدي مجموعة من النصوص والمحاولات الكتابية لكن لم أتشجّع في إبرازها حتى اليوم، أمّا هذا النص فقد وجدت أن الوقت أكثر مناسبة للحديث عن موضوعه، والدفاع عن صورة المرأة المعطاء والمحور للمجتمع».

الفيلم من بطولة الفنانة «علا باشا» والفنان «جمال العلي»، والفنان «علي بوشناق»، وما يميّز الفيلم هو عدم ظهور وتبيان وجوه الممثلين في أغلبية المشاهد، فهناك اعتماد على لغة جديدة، هي الاتفاق بين فكرة التخفي التي اعتمدتها الشخصيّة الرئيسة للفيلم في سعيها للعمل كخادمة في بيوت الناس سعياً وراء الرزق لتعليم ولديها وتلبية رغباتهم، والظهور في الوقت نفسه بمظهر الأنيقة والمترفة أمام محيطها وجيرانها، وهنا تتآمر الكاميرا في لغة التخفي تلك فتحجب الوجوه في معظم مشاهد الفيلم ليكون لنا منظومة جديدة من المشاهد الأكثر تعبيراً ومن منظور إخراجي إبداعي، يراهن على تقبل المتلقي لشكل سينمائي لم يعتده مسبقاً.

يسعى المخرج «محمد الخضر» لترجمة الفيلم لعدّة لغات على الرغم من قلّة الحوار بين شخصيّات الفيلم، وذلك رغبةً منه في مشاركة الفيلم عبر مهرجانات دولية جديدة، ودخوله ميدان المنافسة مع أفلام من مناطق أخرى من العالم، ويذكر أن هذا الفيلم من إنتاج المؤسسة العامة للسينما، وهو من سلسلة مشروع دعم أفلام سينما الشباب، وما زالت عمليات المونتاج تأخذ وقتها على المشاهد التي تمّ الانتهاء من تصويرها مؤخراً، وكانت في أكثر من مكان معروف في دمشق وفي أماكن تصوير داخل بيوتها.